

أصوات المدّ واللّين في اللّغة العربيّة وأهميّتها

الأستاذ: مصطفى مديوني

المدرسة العليا للأساتذة -بوزريعة-

الملخّص

يعتبر موضوع أصوات المدّ واللّين من الموضوعات الحساسة في الدرس الصوتي بصفة عامة، وما يتعلق بالأصوات اللغوية بصفة خاصة، وقد أسال الكثير من الحبر لأهميته البالغة، أو نظرا لقيمة هذه الأصوات ومدى حضورها في لسان الضاد، ولعلّ هذه الأهمية وهذا الحضور من بين الأسباب التي ولّدت الخلاف الحاصل بين علماء اللغة العربيّة وبخاصة بين القدماء والمحدثين بشأن هذا الموضوع أو ما تعلق بالتسمية والاصطلاح، فالفريق الأول يفضل تسميتها بحروف المدّ واللّين عموماً، أما الثاني فيصطلح عليها بالحركات الطوال في مقابل الحركات القصيرة.

وإذا كانت الإشارة إلى هذه الأصوات في السابق سطحية، فإنها مع مرور الوقت أصبحت ذات أهمية بالغة وأفاض فيها كثير من الدراسين والباحثين، ومع ذلك لازالت بحاجة إلى بحوث ومقالات تثرى كثيرا من الجوانب المتعلقة بما يتعلق بالتسمية والمخارج والصفات والوظائف.

أما ما يخص التسمية والاصطلاح فسواء سميناهما أصوات مدّ أو أصوات مدّ ولين أو أصوات لين كما أشار إلى ذلك كثير من القدماء، أو سميناهما حركات طويلة كما نجده عند بعض علماء اللغة والأصوات المحدثين، فإن ما نؤكدّه هو أنها ذات حضور قوي في اللغة العربيّة، فلا يكاد يخلو أي نص من نصوصها، بل أي فقرة منها، أو حتى جملة من هذه الأصوات، فهي عنصر ضروري في التعبير والتواصل والتبليغ.

وفيما يتعلق بالوظائف، فإن هذه الأصوات لها أثر بالغ في تشكيل كثير من الظواهر الصوتية، والأبنية الصرفية، مثل: الإمالة، والقصر والمدّ، والمقصور والممدود والمنقوص، والمعتل بمختلف أنواعه والإعلال بأنواعه الثلاثة، والمقاطع الصوتية، والفتح والتفخيم.

كما أنها عنصر محوري في ظاهرة الإعراب، إذ هي علامات على الأثر الإعرابي الذي يتركه العامل في الكلم، من رفع ونصب وجرّ، حيث نجد أبعاضها (الحركات القصيرة) علامات أصلية دالة على الفاعلية أو المفعولية أو الابتداء أو الإخبار أو الإضافة أو الظرفية أو غير ذلك، كما نجد أمهاتها، أي: الحركات الطوال دالة على مثل ذلك في حال نيابتها عنها في الإعراب.

الكلمات المفتاحية للبحث: أصوات - أصوات المدّ - أصوات اللّين - أهمية أصوات المدّ - وظائف أصوات المدّ.

Résumé

Le thème des voyelles et des sons prolongés est l'un des thèmes sensibles dans le cours phonétique en général, et les sons d'une langue en particulier, on en a fait couler beaucoup d'encre vu son importance, et la valeur de ces sons et leur omniprésence dans la langue arabe. Ceci a mené aux différences qu'on a constatées entre les linguistes arabes anciens et contemporains, sur le sujet ou la terminologie entre ceux qui les appellent Huruf al Madd wa Linn et les autres qui les appellent harakat Tiwal (allongés) par apport aux Kissar (courts).

Si la référence à ces sons était auparavant superficielle, ils ont acquis avec le temps une grande importance et suscité l'intérêt de plusieurs chercheurs. Cependant il ya encore des choses à dire et des questions à élucider : la nomination, les positions, les traits distinctifs et les fonctions.

Que nous choisissons la première nomination ou l'autre, celle des anciens ou celle des contemporains, nous insistons sur leur omniprésence dans la langue arabe, c'est un élément nécessaire à l'expression, la communication et la transmission.

En ce qui concerne leur fonction, ces sons ont le plus grand impact sur la formation de maints phénomènes phonétiques et morphologiques spécifiques à la langue arabe.

Ils forment aussi un axe dans le phénomène de Al Iirab, car ils en sont la marque que laisse l'association de mots.

Les concepts clés : Sons – les voyelles - sons prolongés – importance des voyelles - les fonctions des voyelles.

تمهيد

إنَّ لأصوات المدِّ واللَّين في اللغة العربية أهمية كبيرة فهي أصل من أصول الكلام العربي، وأي انحراف في لسان المتكلم أثناء النطق بها يؤدي إلى الانزياح عن الطريقة المألوفة، بل السليمة في تأدية اللغة، أو بالأحرى في الكلام الذي يمثل التأدية الفعلية لها، كما يوقع في اللحن والزَّيغ عن السبيل القويم للسان البشري، أيَّ لسان بشري كان، سواء أكان عربياً أم غير عربي.

وباعتبار أنني من دارسي هذا اللسان والمشتغلين في حقله بحثاً وتدريساً، فسأقتصر على تناول هذا الموضوع: أي أصوات المدِّ واللَّين في اللغة العربية دون غيرها من اللغات، اللهم إلا ما ورد منها للتمثيل أو التوضيح أو المقارنة ليس إلا.

ولقد كانت الإشارة إلى أصوات المدِّ واللَّين: وهي الألف والواو والياء، بالإضافة إلى ما يعرف في عرف النحويين بالحركات الإعرابية: وهي الكسرة والفتحة والضمة في السابق سطحية، لا على أنها من بنية الكلام. وبتوالي العهود تنبّه بعض الكتاب إلى أهميتها، فكتبها في بعض النصوص القديمة، وتم وضع أصوات المدِّ القصيرة التي سميت بالحركات، وقد أشار إلى ذلك أحد عباقرة علماء اللغة العربية القدماء -وهو ابن جني- في كتابه القيم "سر صناعة الإعراب".

وإذا كانت هذه الأصوات، غير خافية على دارسي اللغة العربية وباحثيها، والمهتمين بها، فإننا مع ذلك نرى أنها بحاجة إلى بحوث ومقالات تثري كثيراً من الجوانب المتعلقة بها، من حيث التسمية التي أطلقها عليها القدامى والمحدثون، ومن ناحية مخارجها وكيفية إنتاجها؛ أي إصدارها من قبل الناطق، وكذا صفاتها ومميزاتها، ومختلف وظائفها، ناهيك عن أهميتها وقيمتها.

لذا ارتأينا أن يكون موضوع هذا المقال:

أهمية أصوات المدِّ واللَّين في اللغة العربية.

وتتمحور إشكالية هذا الموضوع في التساؤلات الآتية

ماهي حروف المدِّ واللَّين؟ ومن أيِّ المخارج تصدر؟

وماهي مميزاتها؟ وفيما تكمن أهميتها ووظائفها؟.

1- التسمية أو الاصطلاح، والتعريف

لعلماء العربية في القديم شيء من الجهد غير اليسير فهي تعرّف الحركات

في اللغة العربية، وبخاصة الحركات الطوال التي أطلقوا عليها تسمية أو مصطلح "حروف المدّ" وهي: الألف في مثل: قال، والياء في نحو: قيل، والواو، في مثل: يقول¹، وتجمعها كلمة "نوحيا".

ومن القدماء من سماها "مصوتات"، ومنهم الفارابي في قوله: "والمصوتات منها قصيرة ومنها طويلة"². ويقصد بالمصوتات: الحركات؛ أي الحركات القصيرة المتمثلة في علامات الإعراب، وهي: الفتحة والضمة والكسرة، دون السكون لأنه ليس بعلامة، كما يقصد بها: الحركات الطويلة المتمثلة في حروف المدّ. والمدّ في اللغة بمعنى الزيادة ويقال المطّ أيضاً.

وفي الاصطلاح: هو إطالة الصوت بأحد حروف المدّ واللين، أو أحد حرفي اللين³. ولقبت حروف المدّ الثلاثة، وهي الألف المسبوقه بفتح، والواو المسبوقه بضمّ، والياء المسبوقه بكسر؛ بالحروف الجوفية، كما لقبت بالحروف الهوائية، وسميت بالجوفية لخروجها من الجوف وهو الخلاء الداخل في الفم والحلق. وسميت بالهوائية لانتشار هوائها في الفم حال النطق بها، أو لأن النطق بها ينتهي بانتهاء الهواء الخارج معها، فهي هوائية باعتبار المدّ، وجوفية باعتبار المخرج، ومن هنا لقبت أيضاً، بالحروف المدّية⁴.

كما تسمى هذه الأحرف: حروف العلة، لما ينتابها أو يعترها من تغيرات صوتية وصرفية، وأهمها الإعلال، والإبدال، وكذا القلب⁵.

وقد ورد في مختار الصحاح التعريف الآتي لحرف الألف: "الألف: حرف هجاء مقصورة موقوفة فإن جعلتها اسماً مددتها، وهي تؤنث ما لم تسم حرفاً، والألف من حروف المدّ واللين والزيادات... وقد تكون الألف في الأفعال ضمير الاثنين نحوه فعلا ويفعلان، وقد تكون في الأسماء علامة لائنين ودليلاً على الرفع نحو: رجلان، فإذا تحركت فهي همزة، والهمزة قد تزداد في الكلام للاستفهام نحو: أزيد عندك أم عمرو؟ فإن اجتمعت همزتان فصلت بينهما بألف، قال ذو الرمة:

أيا ظبية الوعاء بين جلال وبين النقا أنت أم أمّ سالم

والألف من حروف المدّ واللين، واللين تسمى الألف، والمتحركة تسمى الهمزة، وقد يتجوّز فيها فيقال أيضاً ألف، وهما جميعاً من حروف الزيادات⁶.

حروف المد ثلاثة، وهي الألف، والواو الساكنة بعد ضم، والياء الساكنة بعد كسر، وهي مجموعة في كلمة (نوحيا). وبهذا التقدير يجوز أن تسمى حروف مدّ ولين أو حروف (مدّ)⁷.

وهذه التسمية حاصلة باعتبار كيفية صدور هذه الأصوات فهي تصدر عن مخرجها ممدودة دون أن يحدث للتنفس قطع أو توقّف عند نقطة الوترين الصوتيين كما أنها بمقدار حركتين على الأقل، هذا في الأصل، ويسمى هذا المدّ بالمدّ الطبيعي أو المدّ الأصلي.

وسمي طبيعياً؛ لأن صاحب الطبيعة السليمة يمدّه بمقدار حركتين بلا زيادة ولا نقص، كما يسمى أصلياً؛ لأنه أصل لجميع المدود، ولأن حرف المدّ لا يتميز عن الحركة إلا به⁸.

أما علماء اللغة والأصوات المحدثون فقد اصطالحوا على أصوات المدّ الثلاثة حركات طويلة أو الحركات الطوال في مقابل الحركات القصيرة المعروفة في الإعراب، ومن هؤلاء الدكتور؛ كمال بشر في قوله: "الحركات الطوال مصطلح حديث نسبياً، نطلقه الآن على ما يعرف في القديم بحروف المدّ، وهي الألف في نحو: قال، والياء في قيل، والواو في يقول"⁹.

2- مخارج أصوات المدّ واللين

اعتبر الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) حروف المدّ واللّين هوائية في حديثه عن عدد حروف العربية ومخارجها، يقول: "في العربية تسعة وعشرون حرفاً، منها خمسة وعشرون حرفاً صحاحاً لها أحياء ومخارج، وأربعة هوائية وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة".

وكان يقول كثيراً: "الألف اللينة والواو الهوائية أي أنها في الهواء"¹⁰.

أما تلميذه سيويه (ت 80هـ) فقد جعل الألف من مخرج أقصى الحلق، حيث يقول: "وحروف العربية ستة عشر مخرجاً، فللحلق منها ثلاثة: فأقصاها مخرجاً، الهمزة والهاء والألف"¹¹. ويقصد ألف المدّ.

أما الياء فاعتبرها من مخرج اللسان، يقول: "ومن وسط اللسان، بينه وبين وسط الحنك الأعلى، مخرج الجيم والشين والياء"¹²، إلا أنه لم يميز هنا بين الياء المدية وهي التي تكون مسبوقة بكسر، والياء اللينة وهي المسبوقة بفتح. وكذلك الأمر بالنسبة للواو حيث جعلها من مخرج الشفتين، دون أن يميز بين المدية منها: أي المسبوقة بضم، واللينة: أي المسبوقة بفتح، في قوله: "ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو"¹³.

ولم ينأ ابن جني (ت 392هـ) عن طريق سيويه في ذلك: أي في تحديد مخارج حروف المدّ واللّين، تجعل الألف من أسفل الحلق وأقصاء، كما في قوله: "اعلم أن

مخارج هذه الحروف ستة عشر، ثلاثة منها في الحلق، فأولها من أسفله وأقصاه مخرج الهمزة والألف والياء¹⁴.

وجعل الياء من وسط اللسان وبين وسط الحنك الأعلى، إذ يقول: "ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء"¹⁵. أما الواو فمخرجها الشفتان، يقول ابن جني: "ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو"¹⁶.

أما ابن الجزري فيرى أن لحروف المدّ مخرجاً واحداً، ألا وهو الجوف، وهذه الحروف الألف ولا تكون إلا ساكنة، ولا يكون قبلها إلا مفتوحاً، والواو الساكنة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة المكسور ما قبلها، وقد اجتمعت في قوله تعالى: ﴿نوحها﴾ [سورة هود: 49].

وهذا المخرج تقديري، حيث لا يستطيع المرء تحديد حيز معين تخرج منه هذه الحروف الثلاثة¹⁷.

مخرج الحروف المدية الثلاثة وهي الواو المسبوقه بضم والألف المسبوقه بفتح والياء المسبوقه بكسر هو الجوف وهو الخلاء الداخل في الفم والحلق، ولهذا تسمى هذه الأحرف بالجوفية أو الهوائية.

ويشرح ابن سينا كيفية حصول هذه الأصوات وصدورها من مخرجها، مشيراً إلى الزمان الذي تستغرقه، معتبراً إياه ضعف أو أضعاف الزمان الذي تستغرقه أنصافها أو أبعاضها، أي الحركات أو المصوتات القصيرة المتمثلة في الفتحة في مقابل الألف، والضمة في مقابل الواو، والكسرة في مقابل الياء، فقد أدرك ابن سينا هذه الحقيقة بيقين، وإن أشكل عليه أمر هذه الأحرف الثلاثة بعض الشيء، كما نلاحظه في قوله الذي يزخر بمصطلحات صوتية تنبئ عن مدى إدراكه للظواهر الصوتية، وفهمه للدرس الصوتي ونبوغه فيه، وكثرة اطلاعه على هذا المجال، يقول: "وأما الألف المصوّتة وأختها الفتحة أظن أم مخرجها مع إطلاق الهواء سلساً غير مزاحم، أما الواو المصوّتة وأختها الضمة فأظن مخرجها مع إطلاق الهواء مع أدنى تضيق وميل به سلس إلى فوق، وأما الياء المصوّتة وأختها الكسرة فأظن أن مخرجها مع إطلاق الهواء مع أدنى تضيق للمخرج وميل به سلس إلى أسفل، ثم أمر هذه الثلاثة عليّ مشكل، ولكيّ أعلم يقيناً أن الألف الممدودة المصوّتة تقع في ضعف أو ضعاف زمان الفتحة وأن الفتحة تقع في أصغر الأزمنة التي يصحّ فيها الانتقال من

حرف إلى حرف. وكذلك نسبة الواو المصوّتة إلى الضمة، والياء المصوّتة إلى الكسرة".¹⁸

3-صفات أصوات المدّ واللّين

تمتاز أصوات المدّ واللّين بصفات ومميزات عديدة، ومنها؛ الانفتاح وعدم الإطباق؛ أي أنها منفتحة غير مطبقة، وأيضاً التوسط بين الشدّة والرّخاوة كما ورد في تصنيف سيبويه لها؛ حيث صنف الواو والياء مع الأصوات التي تتأرجح بين الشدّة والرّخاوة.¹⁹

وهناك صفة بارزة لحروف المدّ الثلاثة، وهي "الخفاء، والخفاء في اللغة يعني الاستتار وعدم الظهور أو البروز. أما في الاصطلاح؛ فهو ضعف التصويت، وسميت بذلك لأنها تخفى في اللفظ إذا اندرجت بعد حرف قبلها. وخفاء حروف المدّ راجع لسعة مخرجها؛ لأنه مقدّر، ولذا قويت بالمدّ عند الهمزة وقبل السكون.²⁰

كما أن هناك صفات ومميزات تشترك فيها أحرف المدّ جميعها، وهي: الجهر، والإصمات، الرّخاوة، والاستفال، والانفتاح.²¹

وما يلاحظ في هذ الصّد، هو أن أغلب هاته الصفات هو من صفات الضعف باستثناء الجهر الذي هو من صفات القوة، والإصمات الذي هو من صفات التوسط، كما أن كلاً منها من الصفات اللازمة.

والمقصود بالصفات اللازمة، هو ملازمتها للصوت، بحيث لا تنفك عنه مطلقاً، وتقابلها الصفات العارضة أي التي تعرض للحرف في أحوال معينة لسبب، كالمدّ، والإدغام، والتفخيم، وغيرها.²²

ولا يفوتني أن أشير إلى صفة أخرى تميز هذه الأصوات، وتتمثل في كونها مرّقة، باستثناء الألف التي قد تفخّم تارة، وترقّق تارة أخرى؛ أي تتبع ما قبلها فإذا كان مفخّماً فخّمت وإذا كان مرّقاً رقّقت نحو: ﴿الضَّالِّينَ﴾ ﴿جاء﴾.²³

وهناك صفة بارزة تميز الواو والياء الساكنتين بعد فتح، وتتمثل في اللين أو السهولة؛ أي صدروهما من مخرجهما بسهولة وعدم كلفة على اللسان، كما في قولنا: بَيْت، حَوْف، عَيْن، عَوْن، وغير ذلك.²⁴

4- أهمية أصوات المدّ واللين وبعض وظائفها

لأصوات المدّ واللين أهمية بالغة، لا تخفى على دارس اللغة والباحث في شؤونها والمهتم بعلومها، كما أن لها وظائف لغوية عديدة، إن على المستوى الصوتي أم على المستوى الصرفي، أم على المستوى النحوي، وحتى الدلالي.

أما في المستوى الصوتي فتبرز هذه الأهمية من خلال بعض الظواهر الصوتية البارزة في اللغة العربية، أو بالأحرى في لهجات بعض القبائل العربية، وفي بعض القراءات القرآنية، ولعل أهمها: ظاهرة الإمالة.

والإمالة هي ضرب من ضروب التأثير الذي تتعرض له الأصوات حين تتجاوز أو تتقارب، وهي صائت وقد يكون طويلاً أو قصيراً.

وقد شاعت هذه الظاهرة بين القبائل العربية ممّا نجد له أثراً فيما كتب عنها في كتب النحو والقراءات، ولقد اهتم علماء القراءات اهتماماً كبيراً بالإمالة فبينوا معناها وأسبابها ودرجاتها ومذاهب القراء فيها.²⁵

ويعرفها ابن الجزري بقوله: "والإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء (كثيراً) وهو المحض، ويقال له: الإضجاع ويقال له: البَطْح، وربما قيل له: الكَسْر أيضاً، و(قليلاً) وهو بين اللفظين، ويقال له أيضاً: التقليل والتلطيف وبينَ بينَ، فهي بهذا الاعتبار تنقسم إلى قسمين: إمالة شديدة، وإمالة متوسطة، وكلاهما جائز في القراءة جارٍ في لغة العرب".²⁶

فالإمالة إذن هي أن تميل الفتحة إلى الكسرة، والألف إلى الياء.²⁷ ويرى الدكتور: إبراهيم أنيس أن هناك نوعاً آخر من الإمالة لا يمكن إغفاله، وهو أن تنحو بالفتحة والألف نحو الواو.²⁸

ويؤكد الدكتور: عبده الراجحي ذلك، معتبراً أن هذا النوع الذي أشار إليه إبراهيم أنيس ملحوظ وموجود في اللهجات العامية، قائلاً: "ونحن نلاحظ وجود هذه الإمالة في لهجاتنا العامية من نحو: فوق- نوع- شوط... إلخ إذا تمال الفتحة التي قبل الواو إلى: O".²⁹

وذكر ابن جني هذا النوع من الإمالة في قوله: "وأما أَلَف الإمالة فهي التي تجدها بين الألف والياء، نحو: قولك في عالم وخاتم عقالم وخةً اتم، وأما أَلَف التفعيم فهي التي تجدها بيت الألف وبين الواو نحو: قولهم: سلا م عليه وقا م زيد، وعلى هذا كتبوا "الصلاة" و "الزكاة" و "الحياة" بالواو؛ لأن الألف مالت نحو الواو".³⁰

كما ذكر نوعاً آخر من الإمالة قرئ به، وهو إمالة الكسرة نحو الضمة وهي في الفعل الثلاثي الأجوف الذي قلبت عينه ألفاً في الماضي محو "قال" إذا بني للمجهول، فيقول: "وإما الكسرة المشوبة بالضمة فنحو: قيل، وبيع، وغيض، وسبق، وكما أن الحركة قبل هذه الياء مشوبة بالضمة فالياء بعدها مشوبة بروائح الواو".³¹

لعلَّ الإمالة من أهم الوظائف الصوتية التي تؤديها أصوات المدِّ أو التي تؤديها أصوات المدِّ أو التي تنتج عنها؛ أي بسبب وجودها، وهذا مما يبرز أهمية هذه الأصوات في اللغة العربية وفي لهجاتها المختلفة.

كما أنه لهذه الأصوات أهمية بالغة من الناحية الصرفية أو على المستوى الصرفي، فكثيراً ما نجد عناصر أساسية في تحديد المفاهيم الصرفية، وضبط ظواهر هذا الجانب ومصطلحاته، ومختلف ظواهره، فنجد من ذلك: المقصور والممدود، والمنقوص، والمعتلّ، وما يعتري هذا الأخير من ظواهر صرفية تنبني على هذه الأصوات؛ أي أصوات المدِّ من إعلال بالقلب أو الحذف أو التسكين.

أما المقصور والممدود فلا أعني به -هنا- ما ورد في باب القصر والمدِّ لدى علماء القراءات -وقد سبقت الإشارة إلى هاتين الصفتين- إنما نخص به ذلك المصطلح الصرفي المتعلق بالاسم المقصور والاسم الممدود.

فالمقصور هو الاسم المتمكن الذي آخره ألف لازمة، والممدود هو الاسم المتمكن الذي آخره همزة بعد ألف مدّ زائدة³²، ومعنى ذلك أن آخر الاسم المقصور يتمثل في صائت طويل مفتوح، وأن كمية هذا الصائت تزداد في الممدود حتى تنتج همزة.³³ وقد جعل أصحاب الضرائر قصر الممدود ومد المقصور من الضرورات

الشعرية³⁴ مستشهدين على ذلك بقول الشاعر

وهم مثل الناس الذي يعرفونه وأهل الوفا من حادث وقديم

وقول آخر: سيغنييني الذي أغناك عني فلا فقريدوم ولا غناء

فهل كان ذلك حقيقة من الضرورات الشعرية أم كان لهجة يؤيدها ما ورد فيها من قراءات؟ علينا -أولاً- أن ننظر في هذه القراءات التي تمثل هذه الظاهرة.

اختلفوا في قوله عزّ وجلّ (دكا) فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر (دكاً) منونة مقصورة، وقرأ حمزة والكسائي (دكاء) ممدودة غير منونة.³⁵

وقرأ طلحة بن مصرف (يكاد سناء برقه) بالمد، وقرأ الجمهور (سنا برقه)

بالمقصّر.³⁶

وواضح من القراءتين أن القراء أجازوا القصر والمدّ في القرآن، والقرآن ليس شعراً ومن ثمّ فإن قصر الممدود أو مدّ المقصور ليسا من الضرورة الشعرية. وتتفق الروايات على أن الممدود من لهجات الحجاز حيث يذهب بنو تميم وقيس وربيعة وأسد إلى القصر³⁷، وذلك يناسب كلاً من البيئتين، إذ إن الفرق بين المقصور والممدود إنما هو في كمية الصائت الطويل الذي يقع في آخر الاسم، فإذا كانت القبائل الحجازية المتحضرة تذهب إلى التاني وتحقيق الأصوات فتستوفي كمية هذا الصائت حتى تصل إلى الهمزة، فإن القبائل البادية من تميم وقيس وربيعة وأسد تميل إلى السرعة في النطق مما يؤدي بها إلى كثير من الحذف على ما رأينا سابقاً.³⁸ أما المنقوص فهو اسم مُعَرَّب آخره ياء ثابتة مكسوة ما قبلها، مثل: "القاضي والزاعي". فإن كانت ياؤه غير ثابتة فليس بمنقوص، مثل "أحسن إلى أخيك". وكذا إن كان ما قبلها غير مكسور، مثل: "ظبي وسعى".

إن تجرّد المنقوص من (أل) والإضافة حذفت ياؤه لفظاً وخطاً في حالتي الرفع والجرح، نحو: "حكم قاضي على جانٍ"، وثبتت في حال النصب، نحو: "جعلك الله هادياً إلى الحق، داعياً إليه".

أما مع (أل) والإضافة فتثبت في جميع الأحوال، نحو: "حكم القاضي على الجاني" و"جاء قاضي القضاة".

وتردّ إليه ياؤه المحذوفة عند تثنيته، فتقول في قاض: "قاضيان".³⁹ وفيما يتعلق بمصطلح المعتل فهو يخص أحد قسبي الفعل باعتبار قوة أحرفه وضعفها؛ أي أن الفعل بهذا الاعتبار قسمان: صحيح ومعتل. فالفعل المعتل هو ما كان أحد أحرفه الأصلية حرف علة، مثل: "وعد وقال ورمى". وهو أربعة أقسام: مثال، وأجوف، وناقص، ولفيف.

فالمثال: هو ما كانت فاؤه أي أوله حرف علة، نحو: وعد وورث. والأجوف: ما كانت عينه حرف علة: كقال وباع. والناقص: ما كانت لامه — أي آخره — حرف علة، كرضي ورمى.

واللفيف: هو ما كان فيه حرفان من أحرف العلة مع كونهما أصليين، نحو "طوى ونوى"، وهو قسمان: لفيف مقرون، ولفيف مفروق، فالأول ما كان حرفا العلة فيه مجتمعين، مثل: "طوى ونوى"، والثاني، ما كان حرفا العلة فيه مفترقين، نحو: "وفى ووقى".

ويعرف المعتلّ من الصحيح في الأفعال - في المضارع والمزيد فيه بالرجوع إلى الماضي المجرد.⁴⁰

أما الإعلال فهو من الظواهر الصوتية- الصرفية التي تتمثل في ذلك التغيير الذي يطرأ على بنية الكلمة، حيث يصيب أحد أحرف العلة فيها، فيحذفه أو يقبله أو يسكنه.

وبعبارة أخرى: "الإعلال هو حذف حرف العلة، أو قلبه، أو تسكينه".

فالحذف: كيرث (والأصل: يورث).

والقلب: كقال (والأصل: قول).

والإسكان: كيمشي (الأصل يمشي).

ولكل نوع من هذه الأنواع مواضع يحصل فيها، فالإعلال بالحذف يحدث في ثلاثة مواضع، منها: أن يكون حرف العلة حرف مدّ ملتقيا بساكن بعده: كقُمَ وخَفَ، وخِفْتُ وبعثْتُ، ويَحْفَنُ، وقاضٍ، وفتىً.

أما الإعلال بالقلب فهو ثلاثة أقسام:

1- قلب الواو الياء ألفاً: ويشترط في ذلك سبعة أمور، منها: أن يتحرك ما بعدهما؛ أي ما بعد الواو والياء، إن كانت في موضوع عين الكلمة، فلا تعلان في مثل: "بيان وطويل وغيور وخورنق" لسكون ما بعدهما.

2- قلب الواو ياءً: ويكون ذلك في ثمانية مواضع، ومنها: أن تسكن بعد كسرة، كميعادٍ وميزانٍ، وأصلها: "مُوعَد ومُوزَان" لأنها من الوعد والوزن.

3- قلب الياء واوًا: وتقلب كذلك في ثلاثة مواضع، منها: أن تسكن بعد ضمة، في غير جمع على وزن: "فَعْل، كيوسِر، ومُوسِر، ويوقِن ومُوقِن، وأصلها: ""يُوسِر ومُوسِر، ويُوقِن، ومُوقِن"، لأنها من "أيسر وأيقن".

أما الإعلال بالتسكين فالمراد به شيان: الأول حذف حركة حرف العلة، دفعا للثقل، والثاني: نقل حركته إلى الساكن قبله، فمن مثال الأول: يدعُو الداعي إلى النادي، ويقضي القاضي على الجاني، والأصل: "يدعُو الداعي إلى النادي، ويقضي القاضي على الجاني". وهذا إذا تطرّفت الواو والياء بعد حرف متحرك بالكسر أو الضمّ. فإن كانت الحركة فتحة، لم تحذف، مثل: "لن أدعو إلى غير الحق، ولن أعصي الداعي إلى الله".

فإن لزم من ذلك اجتماع ساكنين، حذفت لام الكلمة، مثل: "يرمون ويعزون"، والأصل "يرميون ويعزؤون".⁴¹

والثاني، مثل: "يقوم وَيَبِينُ"، والأصل: "يَقُومُ وَيَبِينُ". هذا إذا كانت الحركة المنقولة عن حرف العلة مجانسة له، أما إن كانت غير مجانسة له، قُلِبَ حرفا يجانسها؛ كأقام وأبان ويقيم ومقام، والأصل: "أَقُومَ وَأَبَيِّنَ، وَيُقُومُ وَمَقُومٌ".

خاتمة

وفي ختام هذا المقال نعرض مجموعة من النتائج المتوصل إليها من خلال هذا البحث، وأهمها:

- أن لأصوات المدّ واللّين حضور قوي في لسان الضاد، فلا يمكن أن يخلو أي نص من نصوص العربية، بل أي فقرة منها، فهي بمثابة عنصر ضروري في التعبير تقوم عليه الأبنية، وهي عنصر ضروري في التعبير والتواصل والتبليغ.

- إن أصوات المدّ واللّين تدخل في تشكيل كثير من الظواهر الصوتية والأبنية الصرفية، مثل: الإمالة والقصر والمدّ، والمقصور والممدود والمنقوص، والمعتل بمختلف أنواعه، والإعلال بأنواعه الثلاثة وظواهر أخرى لم نتطرق إليها في هذا المقال، لأن المقام لا يسع لذلك إلا أنها لا تقل أهمية ممّا ذكرناه، مثل: الفتح والتفخيم في باب علم الأصوات بعامة والقراءات بخاصة، وكذا المقاطع الصوتية.

- كما أنها عنصر محوري في ظاهرة الإعراب إذ هي علامات على الأثر الإعرابي الذي يتركه العامل في الكلم من رفع ونصب وجزّ، فنجد أبعاض هذه الحروف أو الأصوات أو أنصافها أو ما يسمى في باب النحو بالحركات، نجد ذلك علامات أصلية دالة على الفاعلية أو المفعولية أو الابتداء أو الإخبار أو الإضافة أو الظرفية أو غير ذلك، كما نجد أمهاتها، أي أصوات المدّ المتمثلة في الألف والواو والياء، دالة على مثل ذلك في حالة نيابتها عنها في الإعراب، كما هو الشأن في التثنية، والجمع، والأسماء الخمسة.

- أن أغلب علماء اللغة القدماء اصطلاحوا على هذه الأصوات تسمية أو مصطلح: حروف المدّ واللّين، فأغلبهم لم يفرق بين التسميتين، وقد وصف الخليل بن أحمد الحروف الثلاثة باللّين صراحة، وصفاً عاماً ينطبق على هذه الحروف بوصفها لينّة، كما ينطبق عليها وهي حروف مدّ. والأمر نفسه نجده عند المبرّد، واعتبر سيبويه هذه الأصوات حروف لّين في أي موقع تقع فيه باعتبار أن اللّين صفة ثابتة فيها جميعاً، وهذا الحكم مبني عندهم على أساس كيفية مرور الهواء من الفم في

حال النطق بها - فعند النطق بها- يتسع مخرجهن لهذا الصوت (اللين) بصور تميزها من سائر الأصوات.

الهوامش

- 1- كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، د/ط، القاهرة، ص (420-427).
- 2- الفارابي، كتاب الموسيقى الكبير، تح: غطاس عبد الملك خشبة، القاهرة، ص 1072.
- 3- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، باب الألف، مؤسسة المختار، ط1، القاهرة، 2008، ص 17.
- 4- محمد عصام مفلح القضاة، الواضح في أحكام التجويد، دار النفائس، ط3، الأردن، 1998، ص 37-38.
- 5- المرجع نفسه، ص 38.
- 6- محمد بن أبي بكر الراوي، المرجع السابق، ص 17.
- 7- محمد عصام مفلح القضاة، المرجع السابق، ص 83.
- 8- المرجع نفسه، ص 84.
- 9- كمال بشر، المرجع السابق، ص 430-437.
- 10- الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تح: عبد الله درويش، بغداد، ص 64-65.
- 11- سيبويه، الكتاب، ج 4، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ودار الرفاعي، ص 433.
- 12- المصدر نفسه، ج 2، ص 405.
- 13- المصدر نفسه، ج 2، ص 405.
- 14- ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1، ص 52-53.
- 15- المصدر نفسه، ج 1، ص 52-53.
- 16- المصدر نفسه، ج 1، ص 52-53.
- 17- محمد عصام مفلح القضاة، المرجع السابق، ص 30-31.
- 18- ابن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، تح: محمد حسان الطيان ويحي مير علم، مجمع اللغة العربية، ط 1، دمشق، 1982، ص 76-77.
- 19- نقلا عن محمود فهدى حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء، ط 4، القاهرة، 2007، ص 61.
- 20- محمد عصام مفلح القضاة، المرجع السابق، ص 52.
- 21- المرجع نفسه، ص 56.

- 22- المرجع نفسه، ص43.
- 23- آمال السيد عبد ربه، كيف تقرأ القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية، دار الصحابة للتراث، ط2، طنطا، 2011، ص61.
- 24- محمد عصام مفلح القضاة، المرجع السابق، ص50.
- 25- عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار الصحابة للتراث، ط1، طنطا، 2009م، ص 135-136.
- 26- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2، ص 29-30.
- 27- عبده الراجحي، المرجع السابق، ص136.
- 28- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، د/ط، 2003، ص46.
- 29- عبده الراجحي، المرجع السابق، ص136 (ينظر الهامش).
- 30- ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص 55-56.
- 31- المصدر نفسه، ج1، ص 59.
- 32- نقلا عن عبده الراجحي، المرجع السابق، ص165.
- 33- المرجع نفسه، ص165.
- 34- الألوسي، الضرائر، القاهرة، 1341هـ، ص37.
- 35- أبو علي الفارسي، الحجة في علل القراءات السبع، ج4، تح: محمد إبراهيم سنبل وآخرون، دار الصحابة للتراث، طنطا، ص202.
- 36- نقلا عن عبده الراجحي، المرجع السابق، ص166.
- 37- أبو حيان، البحر المحيط، ج1، السعادة، 1328هـ، ص138.
- 38- عبده الراجحي، المرجع السابق، ص166.
- 39- الشيخ مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، دار الأندلس الجديدة، ط1، 2007، ص 31-92.
- 40- المرجع نفسه، ص41-42.
- 41- المرجع نفسه، ص281-290.
- 42- المرجع نفسه، ص290.